معاهدة السلام..
معركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

الرئيس كارتر يتوسط وفدى مصر واسرائيل .. فى حفل العشاء الذى اقيم فى «بلير هاوس» .. فى بداية جلسات المفاوضات بواشنطن

فى ١٢ اكتوبر ١٩٧٨ وقف الرئيس الامريكي جيمى كارتر فى القاعة الشرقية من البيت الابيض يقول للوفدين المصرى والاسرائيلى اللذين دعاهما الى واشنطون للتفاوض من أجل انجاز اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل .

ـ « منذ أقل من شهر .. فى هذه القاعة بالذات خلق السادات وبيجين فرصة لاقامة السلام الحقيقى ، وسوف تكون محادثات بلير هاوس التى تجرى بينكما الخطوة الحيوية لترجمة وثيقة كامب ديفيد الى سلم حقيقى . اننا لم نحل كل المشاكل، ولا ازلنا كل العقبات ، ولكن المبادىء والاجراءات قد وضعت لحل كل مشاكل المفاوضات الصعبة » .

وهكذا بدأ فصل اخر فى ملحمة « السلام الصعب » بين مصر واسرائيل ـ فى البداية كان كل شىء يوحى بأن الامور تسير على ما يرام . مشكلة هنا أو مشكلة هناك لا تهم فارادة السلام قائمة عند كل الاطراف ، وأقول الاطراف لان الطرف الامريكى كان ممثلا فى المفاوضات منذ الاجتماع الاول ، لان وثيقة كامب ديفيد وجهود الرئيس انور السادات انهت سنوات التردد الامريكى فى شأن الدور الذى تلعبه امريكا فى القضية ، واصبحت امريكا هى الشريك الكامل فى المفاوضات .

وهذا ـ على حد تعبير شولومو سلومين فى مجلة تصدرها مجموعة من الاساتذة الامريكيين اليهود عن قضية السلام فى الشرق الاوسط ـ هو الصلب الحقيقى لسيادة السادات عند مدرسة من الفكر الصهيونى تعتقد ان السادات لكى يجرد اسرائيل من أهم اسباب قوتها سعى الى تحييد أمريكا وقد نجح .

وقد بدأت المفاوضات فى « بلير هاوس » على طريقة كامب ديفيد قدم كل طرف من الطرفين مشروعه ، ولم يكن من سبيل لان توافق اسرائيل على مشروع مصر ، ولا كانت من وسيلة لاقناع مصر بمشروع اسرائيل . وقد ثارت أول أزمة عندما طلبت مصر ربط معاهدة السلام بالوضع فى الضفة الغربية وغزة وبالحل الشامل لان مصر تعالج قضية السلام ككل ، وطلبت مصر الا يكون التمثيل الدبلوماسى بينها وبين اسرائيل على مستوى السفير لانه يمكن ان يحقق اغراضه على مستوى اقل .

وقد جرى دیان الى كارتر يشكو اليه الفريق كمال حسن وزير الدفاع والدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية وكان باب كارتر مفتوحا لانه قال منذ البداية انه مستعد للتدخل لحل اى خلاف ، وبينما أراد ان يوهم الصحفيين بأن المتاعب بدأت أصر كارتر على ان ما يجرى امور روتينية ، وبأنه ليس فى الموقف أزمة حتى لو صور ديان الموقف على انه كذلك .

وقد كان تصريح كارتر هذا فى الطريق .. عندما حاصره الصحفيون وهو يعبر شارع بنسلفانيا الذى يقع البيت الابيض على ضفة منه ويقع بلير هاوس قصر الضيافة الامريكى الرسمى على الضفة الاخرى ، وكان كارتر قد ذهب الى القصر لكى يتناول طعام الغداء مع الوفود الثلاثة مجتمعة .

وفى هذا اللقاء قال ديان لكارتر :

ـ ان الموقف فى مباحثات الوزراء ليس مثل الموقف فى كامب ديفيد حيث القمة تستطيع التفاوض وهى متحررة من القيود .

وكان ديان يغرش طريقا للمستقبل .. ليقول بعد ذلك انه غير قادر على الاستمرار لان صلاحيته دون الامور الجسيمة التى تعالجها المفاوضات .

المتشائمون والمتفائلون !

وفى يوم الخميس ١٩ اكتوبر بعد اسبوع من بدء المفاوضات قدمت الولايات المتحدة مشروع معاهدة سلام لوضعها فى الاعتبار ، وهو بالضبط مثل الذى حدث فى كامب ديفيد . وقد التقى كارتر بالجانب الاسرائيلى مساء الجمعة ٢٠ اكتوبر وعاد ليلتقى بالجانب المصرى صباح السبت التالى . وفى هذا اليوم بالذات اجتمعت الوفود الثلاثة لمدة اربع ساعات ونصف الساعة ، وقال جورج شيرمان بعد الاجتماع ان الاطراف وافقت على النقطتين الرئيسيتين فى الخلاف .. وهما الربط بين المعاهدة والضفة والحل الشامل ، واقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفارة .

وبعد هذا التصريح تنفس المتفائلون الصعداء وقالوا :

ـ كسبنا الرهان ان مشروع معاهدة السلام اصبح قاب قوسين أو ادنى من الميلاد .

ولكن الوفد الاسرائيلى قام بعملية درامية جعلت المتشائمين يقولون :

ـ هكذا ديان ـ لم يخيب ظننا فيه.

فقد أعلن موشى ديان انه سوف يطير الى القدس لكى يقنع الحكومة الاسرائيلية بالموافقة على الاتفاقية ، ولم يكن هذا فى حسبان الوفدين الامريكى والمصرى ، فقد وقرت خطا ساخنا بين واشنطون والقاهرة ، وخطا ساخنا بين واشنطون والقدس ، وكان الوفد المصرى على اتصال يومى بالرئيس انور السادات ، وحين تطلب الامر أخذ رأى الرئيس السادات فى مشروع الاتفاقية الذى أعد فعلا طار اسامة الباز الى لندن ليقدم للسيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية الذى كان يلتقى بكالاهان هناك .. مشروع الاتفاقية لكى يعرضه على الرئيس السادات ، وبقى الوفد بكامل هيئته فى فندق ماريسون فى انتظار رد الرئيس المصرى ، اما كارتر فقد قدم لموشى ديان وعيزرا وايزمان طائرته الخاصة لكى يطيرا بها الى القدس فيضمن عودتهما عليها .

وبدأ التدرج فى تصريح ديان وهذه هى اوراقه القديمة التى لعب بها فى مفاوضات القدس فى يناير ١٩٧٨ فافسد كل شىء ، قال ديان حينما وصل للقدس :

ـ ان اكثر المسائل حلت ولكن هناك مسائل جوهرية لم تحل ... ان معاهدة السلام ليست جاهزة للتوقيع . ثم قال :

ـ ان المعاهدة المصرية الاسرائيلية تقف على قدميها بعيدا عن الضفة الغربية وغزة ولكن مصر واسرائيل ملتزمتان بمقتضى وثيقة كامب ديفيد باجراء مفاوضات عليهما .

وهكذا أوحى ديان للشعب الاسرائيلى بان قضية الربط لم تحل ، والواقع كان غير ذلك بشهادة المتحدث الرسمى باسم الوفود الثلاثة وبشهادة الاوراق المكتوبة بعد لقاء السبت الطويل ، وقد ادرجت تصريحات ديان فى القدس على أنها للاستهلاك المحلى ولنفادى المعارضة فى مجلس الوزراء .

وقد أحس كارتر بالخطر حين طار الوفد الاسرائيلى الى القدس ، ولهذا ارسل خطابا الى بيجين ليقبل المشروع الامريكى كما جرى الاتفاق عليه بين الاطراف .

ولم تقل الصحف الامريكية ـ واكثرها

رسالة واشنطن

يمشي في فلك الفكر الصهيوني — ان سفر الوفد الاسرائيلي بفتح الابواب للمتاعب ويخرق سرية ما دار في بلير هاوس ويقود الى التصريحات العلنية المتشددة وحرب الكلام الصحف الامريكية الموالية لاسرائيل واشهرها « الواشنطون بوست » صورت الرحلة على انها شيء عادي ونفس الصحيفة القت الشكوك حول رحلة من نفس النوع جرى التفكير فيها يعود بها بعض الوفد المصري الى القاهرة للتشاور بعد التصريحات الطائشة من كل الافواه المسئولة في اسرائيل فماذا حدث في اسرائيل ؟ ماذا حدث ؟

المعارضة والغضب :

جنون التعصب الاسرائيلي ثار مرة اخرى . ديع صرصر عاتية هبت من القدس وأرادت ان تحطم بلير هاوس وتدق البيت الابيض ، وتقتل حمامة السلام التي بدأت رحلتها الماموله في الشرق الاوسط .

الحكاية ان معاهدة كامب ديفيد — كما يقول المطلعون هنا — كانت فخا وقعت فيه اسرائيل ، وقد احس بيجين بالفخ بعد عشر ساعات من التوقيع على الاتفاقية فقال لبربارا ووالترز في أول حديث له صباح الاثنين ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ، ومداد توقيعه على وثيقة كامب ديفيد لم يجف ، ان فترة تجميد المستوطنات في الضفة الغربية وغزة هي ثلاثة اشهر وهي مدة المفاوضات بين مصر واسرائيل من اجل التوصل الى معاهدة سلام بينهما . وكانت هذه مغالطة بحجم كل مغالطات بيجين السابقة مجتمعة ، لانه قذفها والزمن قصير لا يترك للذاكرة الناس أن تنسى ، وتفسيرات كامب ديفيد واضحة في الاذهان لم تنسع بعد في تلافيف الزمن ثم ان النص موجود وفي حالة الخلاف بين الكلام المرسل والنص يغلب النص .

وقام كارتر بدوره خير قيام في ذلك الوقت ، أعلن ان معاهدة كامب ديفيد تنص على وقف المستوطنات لمدة خمس سنوات هي الفترة الانتقالية التي تجرى خلالها اقامة الحكومة الذاتية في الضفة الغربية وغزة ثم يجرى التفاوض على مستقبلهما وما عليهما من مستوطنات وسكان مستوطنات .

وارغى بيجين وأزبد واطلق الف تصريح ، وقيل وقتها ان هدفه الاول هو امتصاص غضب المتطرفين في داخل اسرائيل .. الذين يعتبرون وثيقة كامب ديفيد شركا وقع فيه بيجين .. وانشغل بيجين بعد ذلك بتقديم الوثيقة الى الكنيست ، وقد لقى من الاقلية معارضة كادت تبرد له تصريحات الاستهلاك المحلى التي أطلقها غداة التوقيع على الوثيقة وحصلت الوثيقة على تاييد الكنيست باغلبية كبيرة فاسترخت اعصاب بيجين وأحس بانه يخرج لسانه لعدوه القديم بن جوريون الذى حقق انتصار الحرب فان بيجين حقق انتصارا اهم وهو انتصار السلام .

وتجمد الحديث حول المستوطنات في الضفة وغزة .

ولكنه بعد أن عاد ديان ووايزمان الى القدس انطلق الحديث عنها بعصف محموم .

وكان السبب الظاهر أن في مجلس الوزراء ثمانية من بين تسعة عشر وزيرا يعارضون مشروع معاهدة السلام او على وجه التحديد يعارضون ربط معاهدة السلام بالضفة الغربية وغزة بالحل الشامل .

ولهذا تصبح الاغلبية التي يعتمد عليها بيجين في مجلس وزرائه هشة ولان كل وزير في مجلس الوزراء ينتمي لحزب ما أو كتلة ما في الكنيست ، ولان الكنيست هو في النهاية جهة التصديق النهائي على الاتفاقية فان الاغلبية الهشة قد لا تستمر اغلبية اذا وصل الامر للكنيست ، والمعروف ان الكنيست اذا رفض المعاهدة فان معنى هذا أن يطرح الثقة ببيجين .. فيسقط بيجين .

من أجل هذا .. من اجل ان يصون بيجين موقفه قاد مظاهرة التشدد .

وقد نوقشت بنود مشروع اتفاقية السلام التسعة في ثلاث جلسات لمجلس الوزراء الاسرائيلي استغرقت في مجموعها سبع عشرة ساعة من أيام الاحد والاثنين والثلاثاء .

وقد وصف احد الوزراء هذه المناقشات بانها اخطر ما واجهه مجلس الوزراء منذ تشكيل حكومة بيجين ، وقال سمعا ارليخ وزير المالية الاسرائيلي : ان مسئولية جسيمة تقع على عاتق الحكومه وكل عضو في مجلس الوزراء بهذه الاتفاقية ، وقال ايجال يادين نائب رئيس الوزراء انها معاهدة سلام تجيء بعد ثلاثين عاما من الحروب ، ونحن لا نوقع كل يوم على معاهدة سلام ، وقال ايضا وليست هنا لامشكلة رئيسية لاننا ابقينا على روح كامب ديفيد ، وقال بيجين ان المناقشه طويلة ولا باس من ان تكون كذلك فاننا نقرر مصير اسرائيل . وقال اعضاء اللجنة الخارجية ولجنة الدفاع في الكنيست الاسرائيلي وقد عرض عليهم مشروع الاتفاقية « ان صخرة الاصطدام في المعاهدة هي موضوع الربط بينها وبين الضفة وغزة » .. اما يهودا بن مائير عضو الحزب القومي الديني فقد قال : « اننا دفعنا ثمنا غاليا من اجل السلام مع مصر ، ان الربط بين الضفة الغربية وغزة والمعاهدة يهددنا تماما » .

وكان ان ادخل مناحم بيجين تعديلات بخط يده على مشروع معاهدة السلام وجرى التصويت عليها بعد ذلك فتلقت بسبعة عشر صوتا من تسعة عشر صوتا .

ارفعوا ايديكم عن سوندرز !

ليست هذه هي الطامة .. فان ما يدخل مطبخ المفاوضات قابل للتفاوض ، ولكن الطامة كانت حين صرح بيجين بان اسرائيل سوف تمضي في توسيع المستوطنات فتبني ٤٠٠ وحدة جديدة تتكلف ١٦ مليون دولار وتاوى الف اسرائيلي فيزيد عدد المستوطنين من سبعة آلاف الى ثمانية آلاف . وقال بيجين أيضا انه مع ديان سوف يتفلان مكنبيهما الى القدس الشرقية تدعيما لحقهما في القدس الشرقية وتاكيدا لمفهوم النوراء من ان القدس قلب اسرائيل والقلب لا يتجزأ .

وكانت هذه التصريحات الاخيرة مبالغة لا يحتملها الموقف ومفاجاة لم تكن في الحسبان .

فقد ذهب ديان ووايزمان الى القدس من اجل مراجعة نصوص مشروع المعاهدة ، وكان كل ما دار في واشنطون يوحي بان الريح رخاء والسفينة تمضي الى شاطىء السلام الحقيقي ، فماذا حدث في اسرائيل ؟ ماذا حدث ؟

القول لك :

زار هارولد سوندرز مساعد الخارجية الامريكية للشرق الاوسط الملك حسين في عمان ليقدم له الردود الامريكية على اربعة عشر سؤالا وجهها الملك حسين لكارتر حتى يقرر بعدها اذا كان سيدخل ساحة المفاوضات على مبادىء كامب ديفيد أو لا يدخل .

وانهى سوندرز هذه المهمة في يومين فعبر جسر اللنبي الى القدس وفوق هذا الجسر استوقفه الصحفيون ليسالوه عن طبيعة مهمته فقال :

— ان هذه هي أيام الفرصة الطيبة لكي يشارك كل طرف في القضية . وعلى كل واحد أن يفهم جيدا أن من الفرص مالا يترك لمجرد التعلل بسوء الفهم أو نقص المعلومات . وكان سوندرز يعني مايقول .. لان الاربع عشرة اجابة التي يحملها في حقيبته كانت مذكرة تفسيرية لموقف وثيقة كامب ديفيد من الضفة الغربية وغزة بل وموقفها من المفاوضات التي يمكن ان تجرى بين الاردن واسرائيل وبين سوريا واسرائيل وبين لبنان واسرائيل .

وفضلا عن هذا فان الاجابات تحدد الموقف الامريكي من كل هذه المسائل .

وفي القدس التقى سوندرز باعيان الضفة الغربية وغزة وقد اعتمد في طلب اللقاء على ان له مأثرة قديمة فهو اول من كتب وثيقة في الخارجية الامريكية تطالب امريكا بسياسة واقعية مؤداها انه لا حل لقضية الشرق الاوسط اذا اصرت الولايات المتحدة على تجاهل قضية الشعب الفلسطيني .

وقد اثارت هذه الوثيقة حملة صهيونية ضارية على سوندرز . ويقال ان هذه الوثيقة كانت احد اعمدة تقرير معهد بروكنجز ، ذلك التقرير الذى قال ان على الولايات المتحدة ان تتدخل بين مصر واسرائيل بشكل جدى لحل القضية ، وان قضية الشعب الفلسطيني يجب ان تكون محل الاعتبار الاول .. والمعروف ان بريزنسكي مستشار الرئيس الامريكي للامن القومي كان احد خمسة عشر كتبوا هذا التقرير وانه اقنع كارتر باعتناق التقرير اساسا لسياسته الخارجية ولهذا تعرض بريزنسكي مثل سوندرز لحملة صهيونية ضارية .

قد لمس سوندرز موضع الجراح الصهيونية القديمة حين التقى باعيان الضفة الغربية وغزة وشرح لهم وثيقه كامب ديفيد مؤكدا انها تجعل انشاء المستوطنات لخمس سنوات هي فترة الانتقال وان القدس الشرقية عربية لانها جزء من الضفة الغربية حين احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وان مصير المستوطنات في الضفة الغربية وغزة سيكون موضع التفاوض .

قال هذا سوندرز بالجملة ..

وبدا الهجوم على سوندرز وكانت تصريحات بيجين ردا على ما قاله سوندرز وتصدى فانس لهذا الهجوم فصرح بان سوندرز ذهب الى القدس والتقى باعيان الضفة الغربية وغزة في اطار كامب ديفيد وفي حدود مهمة رسمية نائب فيها عن فانس شخصيا .

وقال فانس وهو يضغط على مخارج الحروف:

— ان سوندرز رجل خارجية متميز ومرموق، وقد امضى عشر سنوات تمرس فيها بكل مشاكل الشرق الاوسط وكسب خبرة كبيرة وانا اثق به ثقة مطلقة ..

من « يلوى » ذراع كارتر ؟!

عاد ديان ووايزمان الى واشنطون وصرح ديان وهو يهبط في قاعدة اندروز الجوية بان التصريحات الاسرائيلية حول توسيع المستوطنات « امور مما لا يجرى الاعتذار عنها » ، واصدر فانس بيانا ينقد فيه بالتصريحات الاسرائيلية وارسل كارتر خطابا شديدا الى بيجين يؤكد له فيه ان تصريحاته عن توسيع مستوطنات الضفة الغربية وغزة تشكل عقبة في طريق السلام .

وفي هذه الاثناء وبهدوء كامل وثقة بالنفس مطلقه كان الرئيس انور السادات قد راجع مع الدكتور مصطفى خليل والدكتورة آمال عثمان مشروع الاتفاقية الذى جاء به السيد حسني مبارك وابدى عليه الرئيس ملاحظاته ، فطلب ان تكون صياغة الربط بين المعاهدة والضفة الغربية وغزة والحل الشامل اكثر وضوحا وحسما .. بينما اراد مجلس الوزراء الاسرائيلي الا تكون البتة او ان تكون باهتة متوارية يمكن لاسرائيل ان تغالط فيها او تزيف عليها .

ولكن عندما اشتد سعار التصريحات الاسرائيلية حول توسيع مستوطنات الضفة الغربية وغزة بدا الكلام من القاهرة حول طلب الفريق كمال حسن والدكتور بطرس غالي للتشاور .. ساله التليفزيون الامريكي على شكل حوار مع الدكتور مصطفى خليل الذى كان حريصا عندما قال :

« اننا سندعوهما للتشاور وليس للانسحاب » ورغم هذا الوضوح فقد قلت قبلا ان صحيفة الواشنطون بوست صورت التشاور على انه بداية انسحاب رسمي من المفاوضات واشهدى يا دنيا واشهدوا يا يهود العالم واشهد يا كونجرس على ان مصر هي التي تعد لنسف مسيرة السلام .

وكنت في اعماقي احس ان هذه العودة للمشاورات لن تتم فانني اعرف ان مصر محددة المطالب ، وعندها وضوح رؤية ، وعندها التزام بشرف الكلمة او بشرف ما وقعته في كامب ديفيد .

والذى حدث ان كارتر سمع بنبأ عودة الوزيرين المصريين للقاهرة للتشاور وكان خارج واشنطون في جولة انتخابية وقد اتصل بفانس يساله عن صحة الخبر ، وكان فانس في اجتماع مع الجانب المصري مساء الجمعة ٢٧ اكتوبر بعد اجتماع الصباح الصاخب الذى عقده مع الجانب الاسرائيلي العائد من القدس باعصاره وعفاره ، وقد سال فانس الفريق كمال حسن والدكتور بطرس غالي :

هل تلغيتما من القاهرة توجيها بالعودة ؟

فاكدا « الفريق والدكتور » انهما لم يتلقيا بعد شيئا ، وهنا قال فانس لكارتر الذى كان ينتظر على الخط :

ارجوك ان تفعل شيئا فهذا شيء خطير

فانس يعرف ان السادات اذا خطا خطوة فانه يعنيها وفانس كان في الاجتماع حين تحدث مصطفى خليل في التليفزيون الامريكي وشرح الفرق المطمئن بين الدعوة للتشاور والعودة انسحابا .

ولم يكن كارتر كما قلت في البيت الابيض ولا كان في واشنطون . كان في جولة انتخابية في ولايات الشمال الامريكي يدعو لمرشحي الحزب الديمقراطي وعلى الرغم مكالمته مع فانس كتب الرئيس كارتر خطابا عاجلا للرئيس السادات ناشده فيه الا يطلب الوزيرين المصريين الى القاهرة . وقد رايت كارتر على شاشة التليفزيون الامريكي مساء السبت اى بعد ٢٤ ساعة من خطابه الى السادات يقول للجمهور الامريكي المحتشد لاستقباله :

— انني خاطبت الرئيس السادات ليبقى وفده في واشنطون .. وقد قبل .

وسرت موجة عالية من التصفيق . لابد ان نعرف ان نجاح كارتر في كامب ديفيد احد عناصر النجاح المرتقب للحزب الديمقراطي ، بل هو صلب النجاح المنتظر اذا تقدم لانتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٠

وحكاية الانتخابات مصيدة يتصور الاسرائيليون انهم يستطيعون ارهاب كارتر بها او « لوى » ذراعه .

فالانتخابات الامريكية تجرى يوم ٦ نوفمبر الحالى ، ولا شك ان رصيد الحزب الديمقراطي يرتفع بالنجاح في التوصل الى معاهدة السلام بين مصر واسرائيل لانها الترجمة الحقيقية او الخطوة العملية لتنفيذ وثيقة كامب ديفيد ، ومن هنا فمن المطلقين السياسيين من يقول ان اسرائيل ليست سعيدة باستدراج كارتر لها الى كامب ديفيد وهي تريد أن تنتقم منه بتبديد رصيده الذى يتقدم به للانتخابات بمرقلة مسيرة السلام حتى يفقد كارتر اهم اوراقه ، او حتى ينتهي كارتر كسياسي فتعود اسرائيل الى التحلل من التزامات كامب ديفيد التي اصبحت بها كمن انحشر في حلقه موسى لا هو قادر على اخراجه ولا هو قادر على ابتلاعه .

اسرائيل تساوم !

ولاشك ان كارتر حريص على ان تنتهي الاطراف من معاهدة السلام والتوقيع عليها بالاحرف الاولى قبل ان تبدأ الانتخابات الامريكية ، هذه حقيقة ادركها اسرائيل ولهذا بدات شيئا اخر لابتزاز امريكا وابتزاز كارتر

هذا الشيء هو المقابل المادى للسلام ، او ثمن السلام مترجما بالدولار . والذى حدث في كامب ديفيد عندما قاوم بيجين تسليم مطارفه في سيناء بدعوة ان انشاء المطارات الجديدة يكلف الملايين ؟ حدث ان كارتر قال :

— ستتولى الولايات المتحدة بناء مطارين جديدين في صحراء النقب . وقد حدد الجانب الاسرائيلي في كامب ديفيد تكلفة المطارين بمليارين من الدولارات وقال الجانب الامريكي :

— نحن مهتمون المطارين بالمواصفات القائمة الان ولا عليكم من التكلفة نحن نتحملها تماما

وهنا قال الجانب الاسرائيلي .. اعشى اليهودى :

بل نحن ناخذ المليارين ونبني المطارين

واصبح الاتفاق نهائيا فذكان كارتر لايريد للسفينة ان تصطدم بشيء

وفي بلير هاوس حدث شيء شبيه . فحين بدا الحديث عن الجدول الزمني للانسحاب قال الجانب الاسرائيلي : ان اعادة تسكين اهل المستوطنات في سيناء .. ثم اعادة تسكينهم في قلب اسرائيل يتطلب تكلفة لا تقل عن مليارى دولار

وشهق الجانب الامريكي .. هل اصبح ثمن كل لقاء مليارى دولار ؟

واوضح الجانب الاسرائيلي ان هذين المليارين يلزمان لانشاء مساكن جديدة وطرق جديدة ومحطات انذار بدل التي ستنتهي مهمتها في سيناء . وكانت مسالة المليارات الاربعة ثمن السلام معلقة . ويقولون ان

الرئيس كارتر يصافح د . اشرف غربال ، ويرى فى الصورة الفريق كمال حسن على ود . بطرس غالى

بيجين لم يعجبه هذا التردد الامريكى ، ويقولون ايضا أن تصريحاته المتشددة عن توسيع المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة ان كان هدفها هو الاستهلاك المحلى مرحليا فهدفها الثانى هو ابتزاز كارتر.

وقد قالت الدوائر الهامة ضاحكة ان كارتر قرر ان يعاقب بيجين على مواقفه هذه فيحكم المساعدة الامريكية بثلاثة مليارات من الدولارات فقط .

هكذا فى الوقت الحرج قبل الانتخابات الامريكية . هكذا فى الايام الصعبة والاعصاب مشدودة تتقدم اسرائيل بمطالبها المالية . كل هذا والمعركة دائرة حول تصريحات بيجين والخطاب الشديد اللهجة الذى أرسله كارتر له ورفضه مجلس الوزراء الاسرائيلى واعلن هذا المجلس انه سيمضى الى ما قرره اى سيمضى فى بناء مستوطنات جديدة .. الخ

ووضح للشعب الامريكى الفرق الجلى بين السادات ومواقفه التى تعبر عن المبادىء فى غير شغب وتتمسك بالحقوق دون لجوء للمهاترة .ومواقف بيجين التى تعتمد على « المبالغ » والتى تثير الزوابع والمواصف وتركم الانوف .

وكسب مصر نقاطا جديدة تضاف الى رصيدها عند الشعب الامريكى والكونجرس الامريكى .

ان وفد المفاوضات المصرى استمر فى واشنطون .. وكان الاسلوب الجديد الذى اتبعه الجانب الامريكى هو اللقاء مع كل وفد على حدة تحاشيا للصدام بينهما ، حتى اذا ما توصل الجانب الامريكى لصيغة ترضى الطرفين فى صياغة الديباجة والبنود التسعة والملاحق .. بدأت الاجتماعات الثلاثية .ولكن طبيعة وجود الوفدين المصرى والاسرائيلى فى فندق واحد هو فندق الماديسون يحتل الوفد المصرى طابقه التاسع ويحتل الوفد الاسرائيلى طابقه العاشر هذا الجوار جعل لقاء اعضاء الوفود فى الفندق عملية تقنية تماما مثل الذى حدث فى كامب ديفيد

واذا كان الجانب المصرى حريصا على السلام فانه حريص على كل ما ذهب به من مبادىء ، وحريص على كل معطيات وثيقة كامب ديفيد .

الجائزة من السماء !

غير ان ريح التشاؤم هبت على الفندق الكبير وقصر بلير هاوس فى شارع بنسلفانيا، لان بيجين استطرد فى تصريحاته وكانه عامد متعمد يريد أن يهدم المعبد .. ولكن كما فى الافلام المثيرة استجد ظرف جعل المتفرجين يرون بيجين وهو يضحك على شاشات التليفزيون وكانه يؤكد ان كل انفعالاته كانت فكاهة .

حدث ان اعلنت لجنة جائزة نوبل للسلام عن منح الجائزة « ١٦٥ الف دولار » للرئيس انور السادات الذى ذهب الى اسرائيل وحطم جدار خوف عمره ثلاثون عاما ولمناحم بيجين الذى تجاوب مع السادات فتوصل الى وثيقة كامب ديفيد .. ووجهت آزى ليونايسى عضو البرلمان النرويجى ورئيسة اللجنة الشكر للرئيس كارتر على دوره فى كامب ديفيد واعتذرت بان هذا الدور كان فى سبتمبر بينما اخر موعد للترشيح لجائزة نوبل هو فبراير من كل عام وقد اعتبر تقديم الجائزة للرئيس السادات، ومناصفتها مع بيجين ، انتصارا عربيا كبيرا لان ليونايسى هذه شديدة التطرف فى كراهية العرب وكل من يناصرهم حتى قيل انها حجبت الجائزة عامين متواليين عن اشخاص يستحقونها حجبتها لمجرد انهم يتعاطفون مع العرب

وارسل كارتر يهنىء السادات وبيجين ، وفى الوقت الذى كان فانس يصدر فيه تصريحاته التى يدين فيها بيجين كان يهنىء بيجين بجائزة السلام .. هذه حكاية وتلك حكاية اخرى .

وعرض التليفزيون الامريكى محادثة تليفزيونية بين الرئيس السادات وبيجين حين طلب الثانى الاول لتهنئته بالجائزة – يفسد بيجين الاشياء، ولكنه يتملل بمواقف سريعة يريد ان يسترد بها ما يفقده وهو يفسد الاشياء

قال للرئيس انور السادات ان الجائزة الحقيقية هى تحقيق السلام فقال لى صديق امريكى كان يتفرج على التليفزيون معى :

– هذا الداهية العجوز هل يعنى حقا ما يقوله ؟

كان جائزة السلام هبة نسيم ساقتها السماء لتخفف حدة الموقف ، كانها رشة مطر على ارض شهدت عاصفة فاسكتت الرشة حماقة العاصفة .. وبدأ الحديث عن موعد توقيع معاهدة السلام التى يقول البعض انها ستتم حتما وتتم طبعا وتتم قطعا .. وبدأ الحديث عن موعد ذهاب السادات وبيجين

١٠ ديسمبر ١٩٧٨

فهل يتم التوقيع قبل هذا الموعد ؟ وهل يتم فى القاهرة ؟

هل يتم فى سيناء مادام السادات دعا البابا جون بول الثانى الى دير سانت كاترين ؟

بيجين لا يقوته موقف كهذا . أراد أن يخطف الاضواء من دعوة مصر لكارتر ليوقع الاتفاقية وهى الدعوة التى قدمها اليه الرئيس السادات على منبر مجلس الشعب. اراد بيجين ان يخطف الاضواء فصرح للصحافة الاسرائيلية بقوله :

– سادعو الرئيس السادات لتوقيع النص العبرى فى القدس واذهب لتوقيع النص العربى فى القاهرة ثم نوقع نحن الثلاثة كارتر والسادات وانا النص الانجليزى بعد ذلك .

ماذا يبيع هذه المرة ؟!

وانا اكتب رسالتى مساء الاثنين والاجتماعات بين الوفدين وبين الوفود قد بدأت ، الوجوه لا تدل على شىء ، والابواب المغلقة لا تفشى ماورءها .

ان الذى يسمع تصريحات بيجين يقول ان القيامة قد قامت ولكن من يرى وايزمان وهو يتحدث بهدوء وعلى شفتيه ابتسامة يقول ان الامر غير ذلك . وعند وفد مصر الخطوط الدقيقة لما يجب أن تتضمنه معاهدة السلام من منطلق المبادىء الثابتة تربط بين المعاهدة وبقية القضية فى الضفة وغزة ، الجولان ولبنان ، ولا تتنازل عن الحل الشامل ووفد اسرائيل يحاول التملص من هذا النص او يحاول ان يوافق على صياغة للرد يمكن أن تتفتح. فى معارك الصياغة اصبحت لنا خبرة . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. اننا منذ احد عشر عاما توقفنا امام قرار ٢٤٢ حين اختلفت فيه التفسيرات على الارض شاملة او اراض تحتمل التحديد . ان كارتر قال انه من الصعب تتبع كل بند واحكام كل سطر والسيطرة على كل كلمة وموقع كل فصلة ونقطة ولكن اذا كان هذا من اجل السلام فانى سافعله . ولااستطيع ان اقول ماذا يمكن ان يحدث ، ان التفاؤل قائم ولكن التعمية الاعلامية بدأت بعد ان ادى كشف اسرائيل ما دار فى «بلير هاوس» الى تجميد المباحثات اسبوعا كاملا ان العودة الى السرية فى نظر الحكومة الامريكية هى الشىء الكفيل بانجاز المهمة فى هدوء . ولكن السرية اذا كانت مكفولة فى القاعات المغلقة فان بيجين هناك فى القدس يغذى بتصريحاته الغضب الامريكى ، ويريد ان يستثير كارتر وهو فى زنقة الانتخابات ، ويريد أن يستثير كارتر وهو فى قمة الرغبة فى انهاء المفاوضات . الاغلبية الكثيرة اصابت الامريكيين شعبا وحكومة بالغثيان . وقد وصل بيجين الى نيويورك ليسلم ليلة الخميس ٢ نوفمبر جائزة من مجلس الكنائس العالمى واوفد الرئيس السادات السيد ممدوح سالم ليتسلم الجائزة التى اعطيت للرئيس، ولبيجين فى نيويورك لقاء تقليدى يقدم فيه لزعماء الجالية اليهودية فى كل مرة شيئا يبيعونه للشعب الامريكى .

ترى ماذا سيقدم بيجين هذه المرة للبيع؟!

وعجلة السلام دارت ، لأخوف عليها من المزايدة او المتاجرة ، فان وثيقة كامب ديفيد اصبحت حقيقة تاريخية تلتزم بها الولايات المتحدة قبل اسرائيل وتلتزم بها اسرائيل فى مواجهة الولايات المتحدة .

اراجت الى معلق امريكى قال :

– انظروا ماذا فعل السادات .. اشعلها نارا بين كارتر وبيجين واخذ جائزة السلام وهو يتفرج على المعركة بين الحليفين القديمين

فوميل لبيب